الأدب الأفغاني الإسلامي

بقلم الدكتور حلمي القاعود - مصر

يظل العالم العربي في حاجة إلى تعرف آداب الشعوب الإسلامية في آسيا وإفريقية ، على الأقل من باب الواجب المعرفي ، فقد اهتم الأدباء العرب ونقادهم بالانغماس في المركزية الأوربية وما يحيط بها من آداب تابعة لها بحكم الثقافة أو اللغة أو الدين ، ومن المفارقات أن الأدباء العرب مثلاً يعلمون عن أدب أمريكا اللاتينية الكثير ، ولا يعلمون إلا القليل عن الأدب الفارسي والتركي ، وأعتقد أنهم لا يعلمون شيئاً ألبتة عن الأدب البنغالي أو الملايوي أو الإندونيسي ، بل إنهم لا يعرفون أدباً أو أدباء في بلاد تنتمي إلى الجامعة العربية مثل الأدب الصومالي أو الأدب الجيبوتي أو الأدب في جزر القمر . قد يكون الانبهار بالمركزية الأوربية من وراء إهمال الآداب في العالم الإسلامي . وقد يكون توجه النخبة المعادي للثقافة الإسلامية عموماً من وراء البعد عن آداب شعوبها .. ولكن المحصلة في النهاية هي الجهل شبه التام بآداب الشعوب الإسلامية ، وخاصة ما صدر منها عن تصور إسلامي أو رؤية إسلامية .

ولعل المشروع الذي أخرجته جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية إلى الوجود للتعريف بآداب الشعوب الإسلامية يعدّ الأول من نوعه في هذا المجال ، فقد رتّبت عمادة البحث العلمي لنشر سلسلة آداب الشعوب الإسلامية ، وبالفعل ظهر من هذه السلسلة عدة دراسات مهمة : عن الأدب التركي، والأدب الأوردي ، و الأدب الأفغاني ، والأدب الأوزبكي، وكلها تؤصل للأدب الإسلامي في تركيا والباكستان وأفغانستان .. وقد اخترت الأدب الأفغاني لأقدمه إلى القراء بحكم أن كثيرا من القراء العرب يفتقدون النصوص الأدبية الأفغانية الإسلامية بين أيديهم . وجدير بالذكر أنني قدمت منذ سنوات وعقب الاحتلال السوفياتي لأفغانستان الذي وقع عام ١٩٧٩م دراسة حول شعر الشاعر الأفغاني العظيم " خليل الله خليلي " ، ومن خلاله عرّفت ببعض ملامح الأدب الأفغاني الإسلامي المعاصر ، وخاصة ما تعلّق منه بمقاومة العدوّ الشيوعي المستعمر ، وأتباعه من الشيوعيين الأفغان الذين نشروا الإلحاد والموت والقهر والدمار في شتى أرجاء أفغانستان !

الدراسة التي بين أيدينا من تأليف وإعداد وترجمة الدكتور " محمد أمان صافي " ، وتنطلق من الوحدة الحضارية والثقافية للمسلمين بوصفها وحدة حضارية أصيلة وثقافة إسلامية مستقلة ، والأدب هو الشاهد على هذه الوحدة ، فروحه وتصوّراته ورؤاه تصدر عن منبع واحد هو الإسلام ، ولا يؤثر في ذلك ما تنتجه النخبة المتغرّبة في البلاد الإسلامية ، فأدبها هو الاستثناء المخالف الذي يثبت الوحدة الحضارية والثقافية للمسلمين .

إن الأدب الأفغاني من أهم الآداب الإسلامية ، وأعظمها فائدة ، وأجملها متعة ، وأصدقها رواية ، ونصوصه كل شيء إسلامي للإنسان عامة، وللمسلم خاصة، تقدم البناء الفكري والسلوكي والذوقي ، وتقدم المتعة الجمالية، والقيم الإنسانية ، والمنفعة التعليمية ، والعذوبة الفنية ، والتسلية النفسية في بيان إسلامي ساحر جميل ، إنه أدب جدير بالاهتمام ، وجدير بالترجمة .

وإذا كان الأدب العربي هو الجناح الأول للأدب الإسلامي ، فإن جناحه الآخر يتمثل في آداب الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية ، ولا يجوز أن يبقى الجناح الأول بعيداً عن الجناح الآخر ، أو العكس ، فبالجناحين يستقيم التحليق في الآفاق الأدبية الإسلامية ... وبالترجمة يمكن فتح باب جديد واسع في الأدب الإسلامي مازالت دروبه بكراً ، ومازالت دراساته وساحاته ميادين واسعة للباحثين والدارسين والمترجمين .

يحدد الدكتور محمد أمان صافي خصائص الأدب الأفغاني الإسلامي ومميزاته في النقاط التالية :

١ - هو أدب إسلامي عريق نشأ في ظلال الإسلام ، وتحت رعاية اللغة العربية . وكانت العناية به إسلامية أفغانية . وكانت نهضته وتطوره مبنيتين على الأسس والمبادئ الإسلامية . وقد نشأ نشأة إسلامية في منبت إسلامي طيب . وفي شعب شديد التماسك بالاسلام يأمر الشعراء والأدباء والكتاب بالتقيد الشديد بالتزام قواعد الإسلام . وتطبيقها في القول والفعل . كما يأمرهم ويحضهم على الالتزام بالخلق القويم .

٢ - وهو أدب ينطلق من التصوّر الإسلامي للخالق العظيم . وللإنسان والكون المحيط بالإنسان ، وللحياة التي يعيشها . ويدعو الإنسان إلى عبادة الخالق العظيم في هذه الحياة . ليس هذا فحسب بل يقوم برسم معالم الطريق الرئيسة ليسلكها في رحلة حياته الطويلة . فلا غرابة أن نرى الروح الإسلامية تسري في عروقه المعنوية والصورية . إنه أدب يهتف في شعره ونثره بعظمة الإسلام . ويدعو بقوة إلى التمسك بأهداب الدين الإسلامي حيث إنه طريق النجاة من الضياع .

٣ - واقع الأدب الافغاني واقع إسلامي . منه يستقي قيمه وسلوكياته . وعليه يعتمد في واقعه الأدبي ، حيث إنه لا يعرف العيش في أبراج عاجية بعيداً عن الحياة والناس . والحياة في منازل الأفغان حياة إسلامية . والناس فيها مسلمون شديدو التمسك بالإسلام . ولابد للأدب أن ينفعل بالحياة والأحياء تأثراً وتأثيراً . وقيود الواقع الحيّ تشدّه شدًّا إلى أن يقوم بتصويره وتجسيده . فيصبح على واقع الحياة والأحياء . حلوه ومرّه .. إنه أدب إسلامي حاول على مدى تاريخه العريق أن يقدم وصفاً مطابقاً للواقع ، وأن يعكف على دراسة مشكلات الحياة الإسلامية ، ومناقشة حلولها الإسلامية . وجعل من واقع الحياة مصدراً استقى منه أعماله الأدبية بحيث يمكننا أن نرى فيه صورة صادقة وواقعية للحياة الإسلامية .

٤ - الأدب الأفغاني مظهر من مظاهر الانتماء الإسلامي في أجلى صورة، ومظهر التغنّي بأمجاده ومآثره التاريخية الممتدة في جذور انتمائه إلى أعمال التاريخ ، وفي اعتزازه بالإسلام وبقيمه ومثله العليا . وقد واجه بقوة محاولات القضاء على مظهر الانتماء الإسلامي ، ولم تتمكن مظاهر التغريب من التغلب عليه ، بل قاومها ودافع عن المظاهر الإسلامية .

٥ - الأدب الأفغاني الإسلامي أسهم في إقامة المجتمع الإسلامي وفي تكوين الفرد المسلم ، وفي غرس الولاء الإسلامي ، وفي تنمية المسؤولية الإسلامية، والحرص الشديد على الذوق الجمالي الإسلامي ومجابهة الأفكار الهدّامة ، وتأكيد العبودية لله ، والمشاركة في مظاهر بهجة المسلمين وسرورهم بالانتصارات في الفتوحات الإسلامية ، وفي تصوير تلك الفتوحات والانتصارات في القديم والحديث . وقد وفق الأدب الأفغاني في تصوير هذه الغايات والأهداف النبيلة في الإطار الذي حدّده الدين الإسلامي ، وهي غايات وأغراض جميلة تدور حولها الدراسات الأدبية في عصرنا الحاضر . لقد ظل الأدب الأفغاني الإسلامي يؤدي دوره لخدمة الإسلام دون أن تحطمه حملات المذاهب المادية !

٦ - إن الأدب الأفغاني الإسلامي في جملته أدب إسلامي الأساس والمنطلق ، إسلامي الواقع والمظهر والانتماء ، إسلامي الإسهام في إقامة المجتمع وتربية الفرد . ومع ذلك فإن بعض الأدب الأفغاني ضل الطريق وشذّ عن الجادّة الإسلامية ، ولا قيمة لهذا " البعض " أما رسوخ الأدب الإسلامي الذي يمثّل الصورة الغالبة . " ويكفيه فخراً أنه ليس في أدب الناطقين بالأفغانية مكان للكافر والكفر " !

هذه الخصائص والميزات التي ذكرها الدكتور " محمد أمان صافي " يترجمها إلى واقع عبر صفحات دراسته من خلال النصوص الأدبية الأفغانية الإسلامية ، ومن خلال إطلالة ضافية تتناول تأثير الإسلام في نشأة اللغة الأفغانية (البشتونية = البختونية) وكتابتها بالحروف العربية بعد أن عادت إليها الحياة ودبت فيها الحركة ، وهجرت نهائيا الهجائية القديمة التي كانت تستخدم

في كتابتها .. ثم تركّز الدراسة الحديث عن الشعراء والأدباء الأفغان الإسلاميين في كل فترة من تاريخ الأدب الأفغاني ، وبيان ما أجادوه في الأدب الإسلامي من الأفكار والتصوّرات والأخيلة ، وما صوروه في شعرهم من المعاني والمفاهيم الإسلامية ، مع الاعتماد على الشواهد الأدبية ، ونقلها من الأفغانية إلى العربية ، وهذا في الحقيقة يمثل رحلة الأدب الأفغاني عبر القرون .

ويمثل القسم الثاني من الدراسة لبّها وجوهرها ، أو نموذج الأدب الرفيع للأدب الأفغاني الإسلامي ، وبعد مقدمة تاريخية حول الجهاد الأفغاني الإسلامي ، فإن الدراسة تدعونا لمعايشة أجمل نماذج الشعر والنثر التي قالها الشعراء والأدباء الأفغان المسلمون ، خاصة في ظل الاحتلال الشيوعي الروسي وأتباعه من الشيوعيين الأفغان .

وكان من توفيق الباحث أنه وضع النصوص المترجمة باللغة البشتونية ، ليستزيد القراء والباحثون الملمّون بهذه اللغة من متعة الاطلاع عليها ، والتغلغل في جماليّاتها .

ويصعب في هذه الكلمات الموجزة أن نلمّ بجميع ما أورده الباحث من نماذج أدبية تتناول الجهاد الأفغاني قديماً وحديثاً ، ولكننا سنكتفي بالوقوف أمام بعض الشعراء والكتاب من الأدباء الإسلاميين الأفغان المعاصرين الذين آثروا أدب الجهاد الإسلامي بقصائدهم وكتاباتهم .

وينبغي أن نتذكر أن الشيوعية الأفغانية أشدّ الشيوعيات عداوة للأفغان ، وكرها للإسلام ، وحقداً على المسلمين ، تضع في طريق القيم الإسلامية ، والأفغانية كل العقبات والعراقيل ، وقد استعانت بالروس الغزاة ، وقامت بإنزال المحن بالمسلمين ، وأعدمت كثيراً من الأبرياء ، أو اعتقلتهم ، وشردت الآمنين ، وذلك بعد أن قفزت على كرسي الحكم في كابل ، وبعد أن احتل الروس أفغانستان بالقوة . وقد لعب الحزبان الشيوعيان : خلق وبرشام دور العملاء في هذه العمليات الإجرامية .

لم يكن أمام الشعب الأفغاني المسلم إلا القيام بالجهاد الإسلامي لمواجهة القهر والقمع والتنكيل التي تمت فيها ممارسة أشرس أساليب المقاومة الإسلامية ، وأشدّها فتكاً وتأثيراً ، وبدأت مسيرة الجهاد الأفغاني إسلامية ، وانطلقت إلى كل الآفاق دفاعاً عن الدين والوطن .

لقد استشهد الباحث في سياق الجهاد الأفغاني الإسلامي المعاصر بأشعار وكتابات عدد كبير من الشعراء والأدباء، منهم : عبد الله غمخور (الحزين) والشيخ عبد الباري غيرت ، وحبيب الله رفيع وديدار خان أحمدزي ، وجوهري ، وعبد المتين تسكين ، والصادق كل زرك زردان، وغمجين (الحزين المتألم) ، ومحمد يونس خالص ، وقيام الدين كشاف ، وتوريالي زازي ، وعيسى محمد ، ومحمد عارف غزوال ، وسيد محيي الدين هاشمي ، وعبد رب الرسول سياف ..

كنت أتمنى أن يستعرض الباحث بعض أشعار خليل الله خليلي ، ومع أنه أشار إليه في سياق البحث ، ووصفه بالشاعر العظيم ، فقد كنت أتمنى أن يحظى منه ببعض الاهتمام وتقديم بعض النماذج الشعرية له . ولا أدري سبباً معقولاً يجعله يتجاوزه ، فقد غنّى الشاعر خليلي لأفغانستان غناء عذباً شجياً دامعاً ، وهو في مهجره بعيداً عن وطنه ، محروماً منه ، ملهوفاً عليه .

قدم الباحث الشعراء والأدباء الأفغان الإسلاميين من خلال نبذة قصيرة تتناول سيرتهم وإنتاجهم الأدبي ، مع تقديم نماذج شعرية أو أدبية ، واتسعت هذه النبذة أحياناً وضاقت في أحيان أخرى ، وفقاً لمستوى الشاعر أو الأديب ومقدار إنتاجه

الشعري أو الأدبي .

وقد بدأ البحث المرحلة المعاصرة للجهاد الإسلامي الأفغاني بالشاعر عبد الله بن عبد الودود - الملقب بغمخور - أي الحزين - الذي يبدو أكبر الشعراء المعاصرين سنًا حيث ولد عام ١٩٢١م = ١٣٣٩هـ في ولاية كونر . بمنطقة جميلة رائعة في أحضان الظلال الوارفة . وعبير الأشجار الخضراء الناضرة .

عاش غمخور في بيت علم وزعامة . وفي بيئة متوسطة الحال . اشترك والده الحاج عبد الودود، وعمه الشيخ عبد الرحمن في حرب الاستقلال في عهد الملك أمان الله خان . الذي أعلنها ضد الإنجليز في الهند .

عمل غمخور في السلك الحكومي الإداري ، وخاصة إذاعة كابل . وتشبع بعداوة الإنجليز، وبشعور العطف والشفقة على الناس : وهذه المشاعر تبدو واضحة في شعره . ويمتاز غمخور بثقافة متنوعة تركت آثارها على إنتاجه الأدبي . ونظراته النقدية . ساعدته على إجادة الكتابة وقول الشعر، وإنتاجه الأدبي يجمع بين السلامة والقوة . وبين وضوح الفكرة وعمقها . قال عنه الأستاذ " خليل الله خليلي " شاعر أفغانستان العظيم : " إنه شاعر قدير ، زوّد الأدب الأفغاني بمجموعة من شعره النفيس " . وقال عنه " سيد شمس الدين مجروح " ، وزير العدل الأسبق في أفغانستان ، وأحد علمائها وأدبائها المشهورين : " يكمن في شعر عبد الله غمخور كثير من الدرر واللآلئ المبتكرة " . وقال عنه الأديب " همايش خليل " المؤلف والمحقق الأفغاني : " إن الشاعر عبد الله غمخور يدافع عن هوية بلاده بفمه وقلمه وقدمه .. إنه شاعر ومقاتل ومجاهد " .

لقد صور واقع الجهاد الأفغاني الإسلامي بمنتهى الدقة والوضوح . ودون مواربة ، ودعا المجاهدين إلى النهوض بمسؤوليتهم ، وحمل الأمانة ، والاتحاد إن أرادوا النصر على الأعداء ، وقد انتقد كثرة الزعامات وإضاعة الوقت والهدف . يقول :

لقد كثر الكلام وتعدد الأفواه وفقد الهدف
زادت المؤتمرات وزادت الحكايات وفقد الفرض

ويقول :

لا تسألوا عن جنون الزعامة وهوسها
لقد فقد أصحاب القلوب ما يشغل القلوب !

فقد أصل " غمخور " في أشعاره المتنوّعة لفكرة الحماسة والجهاد من خلال التصور الإسلامي ، حتى في شعره الذي أنشأه في الموضوعات الوطنية :

إنني عبد الله ذاهب إلى التضحية بنفسي
لقد ثرت غيرة على الإسلام وغيرة على الأفغان
إنني قد قمت بصيحة التكبير لأجل الإسلام
وقمت بالرحيل مع الأسرة لأجل شعبي ..

وفي قصيدة بعنوان " اليوم الدامي " يصور شكواه المرة الحزينة التي أثارتها مشاهد الجرائم الوحشية التي ارتكبها الشيوعيون ضد شعبه . يقول فيها متحدثا عن حزب " خلق " الشيوعي :

كلتا يديه مخضبتان بدمائنا الوردية بوضوح
وكل أسنان فمه الفاغر محمرة بلحومنا
لا تقل ، إنها أعلام حمراء للشيوعيين " الخلقيين "
بل إنها ثياب صدورنا الحمراء التي قطعت
ليست قطع القماش وحدها تبدو ملونة بدمائنا القانية
بل الأسواق أيضا محمرة بدمائنا النازفة الفارقة
إن مصاصي الدماء ممن يعبدون لينين اعتدوا علينا
فاحمرت البيوت ، بل القرى والمساجد بدمائنا الوردية

ويستمر الشاعر في الإنشاد مستثمرا ببراعة المفارقة بين لون الدم ، وشعار الشيوعيين ، حيث يرى الحمرة صبغت كل شيء في أفغانستان ، لأنها صارت دما ينزف في كل شبر من أرجائها ، وليس مجرد راية حمراء يرفعها الشيوعيون .. حتى يصل في بعض أجزاء القصيدة إلى القول :

الآن مات المحراب والمنبر
لأن أعلام الملحدين المعلقة مصبوغة بالحمرة الدامية !

ويسجل " غمخور " آلام الهجرة والأنين الذي

انتشر في حدائق الطيور ، والدماء القانية التي صارت رداء للوطن ، في قصيدة ملحمية طويلة تبشر بالأمل القادم والنصر الموعود ، والنور الذي سيشرق من جديد ، وسينجو العالم من براثن ذئاب لينين .

ولا ينسى " غمخور " وهو يرصد الألم ويبشر بالأمل أن يلتفت إلى زعماء الجهاد وخلافاتهم المؤسفة ، فيبكتهم ويستنكر أفعالهم ويحذرهم من ضياع الدين والوطن :

لماذا تركتم الجهاد أيها الزعماء وبدلتموه بصيحات ونعرات الاتحاد .. الفارغة ؟
يا جياع الثورة وعشاق المال اسمعوا القدر :
إن دين الأفغان ودنياهم قد ضاعا .. وضاعا !

ومع متابعة " غمخور " لحركة القادة المجاهدين وما يحدث بينهم من خلافات ، فإنه يشيد دائما بالمقاتلين المسلمين الأفغان ، ويبارك انتصارهم على الشيوعيين الملاحدة ، وله قصائد طويلة في هذا السياق منها قصيدته الجميلة التي يهنئ فيها الشعب في " كونر " بانتصاره وبطولاته ، يقول في ختامها :

أيها الفجر الجديد للحياة الجديدة ، لك التهنئة
لقد نفذت البطولة الكبرى ، فلك التهنئة .

وعندما انتصر الأفغان وتم طرد الروس بعد هزيمتهم الفاضحة ، قال " غمخور " مقطوعة قصيرة لها دلالتها العميقة مخاطبا المجاهد الأفغاني المسلم المنتصر :

أحدث سيفك وقع رجع الصدى في العالم ، بورك فيك
وأخرجت الروس من ترابك الطاهر ، بورك فيك
فأصبح بذلك دور " آريانا " التاريخي مفتوحاً يا ابن الأفغان
كيف أمكنك التغلب على هذا المارد ؟ ، بورك فيك

من الشعراء المهمين الذين ترجم لهم الكتاب ، الشاعر " غمجين " ، ومعنى اسمه :الحزين المتألم ، وهو من المتخصصين في الإنشاد في موضوعات الجهاد الأفغاني . وموضوعاته نماذج أدبية إسلامية سامية الهدف ، عالية الأسلوب ، وهي ألصق بالجهاد الذي أصبح من الحياة اليومية للأفغان .

وديوان " غمجين " الذي أسماه " جهاد جذبه = جاذبية الجهاد " مرآة لحياته الجهادية الصادقة ، تكمن فيه أبعاد شخصيته الأدبية ، وصراعات الجهاد وانتصاراته ، ولغته الشعرية التلقائية : وهي لغة حية دافقة ، زاهية ولكنها بسيطة بساطة طبعه وحياته ، عميقة وصافية صفاء جوهره ، وفيها جميع عناصر الحياة من الجهاد بمشاهده ومناظره وانتصاراته . إنه كائن حيّ داخل تشكيلة الحياة الجهادية المتحركة بكل أبعادها وأشكالها وقوالبها المتأرجحة بين تقدم للهجوم وتأخر للإعداد .

إن جرأة التناول ، وطراوة الخيال ، واتساع الأفق بعض ما تميز به الشاعر " غمجين " . فقصائده ذات علاقة وثيقة وطيدة بالأجواء والأحوال السائدة في أفغانستان ، وشعر " غمجين " الجهادي ممتلئ بتفاؤل عميق ، وهو مثل الشعراء الأفغان الآخرين ، يؤمن بأن النصر في النهاية من نصيب الجهاد ، وأن حكومة إسلامية ملؤها السعادة والإشراق ستنهض في بلاده : لذا نراه يلح على الجهاد والمجاهدين والفدائيين .

وفي قصيدته " الفدائي الطاهر " يقول :

لا خوف عندي من قصف القنابل ولا من الغاز السام
مائة حسرة وأسف على الموت الذي يتم اليوم
عندما يلفظ الإنسان أنفاسه في حضن أمه بدلال
يا " غمجين " إن الصفقة لإحدى الحسنيين
الفدائي النقي الخالص إما أن يكون شهيدا ، وإما غازيا

ويتعجب " غمجين " ، خداع الشيوعيين المحليين ومكرهم ، فيكشف أساليبهم وآلاعيبهم ، ويتحدث في قصيدته " لون البقرة أسود ولبنها أبيض " عن " نجيب الله " الحاكم الشيوعي وكلامه المعسول ، فيقول :

مهما يتحدث " نجيب " عن قصص الود والحب

الشائقة العذبة ذات الدلال واللطف الكثير من أجل خداع عامة الناس بمكر وحيلة يجد نفسه بأنه في عداد المسلمين من غير وضوء ومن حوله يقف الروس الحمر يحملون السياط كيف يمكنه إخفاء الشمس المشرقة بإصبعين الكل يعلم أن لبن البقرة السوداء أبيض ما دام هو يحمل في أذنه حلقة العبودية للروس أقوم أنا " غمجين " فأشرب من الحزن دم مهجتي

ولا ريب أن حرارة الشعر لدى " غمجين " والشعراء الأفغان الإسلاميين . ترتبط ارتباطا وثيقا بصدق مشاعرهم وصفاء أحاسيسهم وتعبيرهم عن التجربة الشعرية من داخلهم . ولعل ذكر الشاعر لاسمه . أو جعل نفسه طرفا في بناء القصيدة الإسلامية الأفغانية من وراء هذه " الحرارة الشعرية " .

يشغل النثر في دراسة الدكتور " محمد أمان صافي " حيزا محدودا . ويتوقف عند الكتاب والأدباء الذين كتبوا المقالة وحدها . لذا لم يقدم من النثر الأفغاني الإسلامي إلا نماذج للمقالة ، واختفت الأجناس النثرية الأخرى . مثل القصة القصيرة والرواية والخطبة والخاطرة والمسرحية والحوارية ... وكان يمكنه أن يثري هذا الجانب لو قدم بعض النماذج أو أشار إليها بالعرض أو التلخيص . وسبق أن قدمت " لمرال معروف " روايتين . الهجرة إلى أفغانستان " التي ترجمها " محمد حرب " . ورواية " معسكر الأرامل " التي ترجمتها " ماجدة مخلوف " وقد طبعتها رابطة الأدب الإسلامي . وهما من الأدب الأفغاني الإسلامي المتميز .

تقدم الدراسة عددا من أدباء المقالة في أفغانستان . منهم الزعيم محمد يونس خالص ، والشيخ قيام الدين كشاف . والأديب توريالي زازي ، والأستاذ عيسى محمد . والأستاذ محمد عارف ، والأستاذ سيد محيي الدين الهاشمي ، والأستاذ عبد رب الرسول سياف . كما سبقت الإشارة .

يقدم من الكتاب الزعيم محمد يونس خالص ، ولعله أكبر الأدباء الناثرين سنّا ، فهو من مواليد ١٢٩٨هـ ١٩١٩م بولاية ننكرهار بشرق أفغانستان ، وهو من زعماء المجاهدين ، ويكاد أن يكون مدرسة تتعانق فيها أساليب القتال بأساليب الأدب .

قضى الشيخ محمد يونس خالص حياته في تدريس العلوم الإسلامية والعربية ، وإلقاء الخطب الدينية والإمامة في المساجد، بالإضافة إلى إذاعة الأحاديث الخاصة بتفسير القرآن الكريم من الإذاعة الأفغانية والكتابة في الجرائد والمجلات نثرا وشعرا .

وقد هاجر إلى بيشاور ، وانضم إلى " الحزب الإسلامي " بزعامة حكمتيار ، ثم انشق عليه عام ١٩٧٩م ، وأسس حزبا خاصا به يحمل اسم " الحزب الإسلامي " أيضا . وشارك - مع تقدمه في السن - في كثير من عمليات الجهاد التي قادها بنفسه ، وإيمانه لا يتزعزع بانتصار الثورة الإسلامية الجهادية في أفغانستان ، وقيام حكومة إسلامية صحيحة فيها . وله مجموعة كبيرة من الآثار الأدبية والفكرية أهمها " الدرر الدينية ، وروح الاجتماع ، والدين والتمدن الإسلامي ، والإسلام بين العلماء الضعاف والشباب الجاهل ، ومن النماذج التي كتبها خالص مقالة " خائن الشعب " التي نشرها في مجلة " بيام حق " رسالة الحق التي كان مديرها المسؤول ؛ وجاء فيها :

خائن الشعب هو الذي يقوم بالقضاء على لغة الشعب وعاداته المفيدة، وتقاليده الشعبية، ويقوده إلى تقليد الأجانب .

هو الذي يخلق التفرقة والحقد بين أفراد الشعب، ويفرق بينهم بتميزات مخالفة للعدالة .

هو الذي يقتل في الشعب مشاعره الدينية الحقة، ويقضي على الشعائر، والتعاليم، والمحاسن الدينية .

إنه ذلك الذي يضحي بأموال الشعب ، أعراضه، ودمائه في سبيل تلبية رغباته الشخصية، ومطالبه النفسية .

هو ذلك الذي لا يتحرك غيرة على ناموس الشعب . إنه ذلك الذي يقضي على شخصيات

الكثيرين لأجل رفع شأن شخصيته الخاصة .

هو الذي يتهم كثيرين من الأبرياء لينالوا الجزاء باسم المجرمين لإثبات مصالحه الخاصة . هو ذلك الذي يقوم في بلده بالدعاية للأجانب ، ويعمل لمصلحتهم .

إنه ذلك الذي لا يقدر الشخصيات البارزة في بلده ، وينظر إلى شخصيات الأجانب بتقدير واحترام، وهم لا شخصية لهم .

هو ذلك الذي ... "

وواضح من هذا النص أنه يشير إلى الحاكم الشيوعي لأفغانستان، أي حاكم، سواء كان طرقي، أو حفيظ الله ، أو كارمل، أو نجيب .. فهذه الصفات الواردة في المقالة تنطبق عليه وتختص به .

إن الأدب الأفغاني الإسلامي. يحتاج فيما أتصور إلى دراسات أخرى موسعة تتناوله بالدرس والتحليل، واستخراج مكوناته ومميزاته . والإضافة إلى ما كتبه الدكتور " محمد أمان صافي " . بالبحث عن الشعراء والكتاب الذين لم يرد لهم ذكر أو نص في دراسته .

وتبقى هذه الدراسة خطوة مهمة على طريق التعريف بآداب الشعوب الإسلامية عامة . والأدب الأفغاني الإسلامي خاصة، نأمل أن تتلوها خطوات أخرى موفقة إن شاء الله تعالى .

ذبول

شعر د . فواز عبد العزيز اللعبون- السعودية

حنانيك ربي .. تمادى البلاءُ
يناوئني بالرزايا الثقالِ
تخطى إليّ قلاع الصمود
ينيخ علي بأعتى الحمولِ
جبال من الرزء مثل الجبالِ
تنوء بأحمالها الأرضون
أنادي ! وما من يجيب النداء ،
يتيه بخطوي طريق الرجوعِ
إلهي وأنت المغيث المعينُ
إليك أمد حبال الرجاءِ
فكن لي إلهي ملاذي الحصينِ
وبرّحْ عن القلب هذا القتامَ
ففيَّ ادعى اليأس بعض الظنون
لقد أعتمت في ضميري الحلولُ
وثمة في خافقي نبضاتُ
وفي نبع جودك كل المرادِ
يحدثني خافقي عن نداك
ويقسم لي أنني إن أيَمّمْ
وها أنذا لذت حول ذراك
وأمّلت فيك سبيل الخلاصِ

ببعضي ، وأخشى على أجمعي
ويسفر عن وجهه الأبشعِ
وها هو يفتنُّ في مصرعي
ويطبق فوقي على أربعِ
تضيق بها أفسح الأربعِ
فكيف بها وهي في أضلعي ؟
ويذوي ندائي في مسمعي
ولولا رجائي لم أرجعِ
وما لي بغيرك من مطمعِ
وأعنو إلى بابك المشرعِ
وفي نائبات الأسى كن معي
وأرسلْ سناك إلى مطلعي
وأوشك أن أتبع المدعي
وشمس يقينيَ لم تسطعِ
ترف إلى فضلك الأوسعِ
فيا شدة الشوق للمنبعِ
ويخبر عن جانب ممرعِ
حماك أفزْ بالحمى الأمنعِ
وناديت : يا أمنياتي ارتعي
فرحماك بالخافق الموجعِ